**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : عصر الرسالة**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : History of the Prophetical Period**

**اسم المحاضرة : حياة النبي ( صلى الله عليه وسلم ) قبل البعثة**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : الأول**

**نسب النبي صلى الله عليه وسلم :**

إن النبي صلى الله عليه وسلم أشرف الناس نسباً ، وأكملهم خَلْقاً وخُلُقاً ، وقد ورد في شرف نسبه أحاديث صحاح ، منها ما رواه مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم» ، وقد ذكر الإمام البخاري نسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «محمد بن عبد الله ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر، بن مالك بن النضر، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر، بن نزار، بن معد ، بن عدنان» ، وقال ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضاً: «إلى هنا معلوم الصحة ، ومتفق عليه بين النسابين ، ولا خلاف البتة ، وما فوق عدنان مختلف فيه ، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام» .

لقد كان وما زال شرف النسب له المكانة في النفوس ؛ لأن ذا النسب الرفيع لا تنكر عليه الصدارة ، نبوة كانت أو ملكاً ، وينكر ذلك على وضيع النسب ، فيأنف الكثير من الانضواء تحت لوائه ، ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم يعد للنبوة هيأ الله تعالى له شرف النسب ليكون مساعداً له على التفاف الناس حوله .

إن معدن النبي صلى الله عليه وسلم طيب ونفيس ، فهو من نسل إسماعيل الذبيح , وإبراهيم خليل الله ، واستجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام ، وبشارة أخيه عيسى عليه السلام كما حدث هو عن نفسه ، فقال: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى» .

وطيب المعدن والنسب الرفيع يرفع صاحبه عن سفاسف الأمور ويجعله يهتم بمعاليها وفضائلها , والرسل والدعاة يحرصون على تزكية أنسابهم وطهر أصلابهم ، ويُعرفون عند الناس بذلك فيحمدونهم ويثقون بهم .

ومما تبين يتضح لنا من نسبه الشريف , دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى ميز العرب على سائر الناس ، وفضل قريشاً على سائر القبائل الأخرى ، ومقتضى محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محبة القوم الذين ظهر فيهم والقبيلة التي ولد فيها ، لا من حيث الأفراد والجنس بل من حيث الحقيقة المجردة ؛ ذلك لأن الحقيقة العربية القرشية ، قد شرف كل منها -ولا ريب- بانتساب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها ، ولا ينافي ذلك ما يلحق من سوء بكل من قد انحرف من العرب أو القرشيين ، عن صراط الله عز وجل ، وانحط عن مستوى الكرامة الإسلامية التي اختارها الله لعباده ؛ لأن هذا الانحراف أو الانحطاط من شأنه أن يودي بما كان من نسبة بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ويلغيها من الاعتبار.

**ميلاده صلى الله عليه وسلم :**

ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف ، والأكثرون على أنه لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، والمجمع عليه أنه عليه الصلاة والسلام ولد عام الفيل وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم .

**مرضعاته عليه الصلاة والسلام :**

كانت حاضنته صلى الله عليه وسلم **أم أيمن بركة الحبشية** أَمَةَ أبيه ، وأول من أرضعته **ثويبة** أَمةُ عمه أبي لهب فمن حديث زينب ابنة أبي سلمة أن أم حبيبة رضي الله عنها أخبرتها أنها قالت: يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان ، فقال: «أو تحبين ذلك؟» فقالت: نعم ، لست لك بمخلية ، وأحب من شاركني في خير أختي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن ذلك لا يحل لي» قالت: فإنا نُحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة ، قال: «بنت أم سلمة؟» قلت: نعم ، فقال: «لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي ، إنها لابنة أخي من الرضاعة ، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة ، فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن» .

وكان من شأن أم أيمن ، أم أسامة بن زيد ، أنها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب ، وكانت من الحبشة ، فلما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد ما تُوفي أبوه ، فكانت أم أيمن تحضنه حتى كَبِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقها ، ثم أنكحها زيد بن حارثة ثم توفيت بعد ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر.

وكانت **حليمة السعدية** مرضعته في بني سعد: وهذه حليمة السعدية تقص علينا خبراً فريداً ، عن بركات الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم التي مستها في نفسها وولدها ، ورعيها وبنتها .

عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ، قال: «لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت حليمة بنت الحارث ، في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسون الرضعاء بمكة قالت حليمة: فخرجت في أوائل النسوة على أتان لي ، قمراء ومعي زوجي الحارث بن عبد العزى، أحد بني سعد بن بكر، ثم أحد بني ناضرة ، قد أدمت أتاننا، ومعي بالركب شارف والله ما تبض بقطرة لبن ، في سنة شهباء قد جاع الناس حتى خلص إليهم الجهد ، ومعي ابن لي ، والله ما ينام ليلنا ، وما أجد في يدي شيئاً أعلله به ، إلا أنا نرجو الغيث وكانت لنا غنم ، فنحن نرجوها ، فلما قدمنا مكة فما بقي منا أحد إلا عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهته ، فقلنا: إنه يتيم ، وإنما يكرم الظئر ويحسن إليها الوالد ، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه أو عمه أو جده ، فكل صواحبي أخذت رضيعاً ، فلما لم أجد غيره ، رجعت إليه وأخذته ، والله ما أخذته إلا إني لم أجد غيره ، فقلت لصاحبي: والله لأخذن هذا اليتيم من بني عبد المطلب ، فعسى الله أن ينفعنا به ، ولا أرجع من بين صواحبي ولا آخذ شيئاً ، فقال: قد أصبت ، قالت: فأخذته ، فأتيت به الرحل ، فوالله ما هو إلا أن أتيت به الرَّحل ، فأمسيت أقبل ثدياي باللبن ، حتى أرويته ، وأرويت أخاه ، وقام أبوه إلى شارفنا تلك يلمسها ، فإذا هي حافل فحلبها ، فأرواني وروي ، فقال: يا حليمة ، تعلمين والله لقد أصبنا نسمة مباركة ، ولقد أعطى الله عليها ما لم نتمن ، قالت: فبتنا بخير ليلة ، شباعاً ، وكنا لا ننام ليلنا مع صبينا .

ثم اغتدينا راجعين إلى بلادنا أنا وصواحبي ، فركبت أتاني القمراء فحملته معي ، فوالذي نفس حليمة بيده لقطعت الركب حتى إن النسوة ليقلن: أمسكي علينا ، أهذه أتانك التي خرجت عليها؟ فقلت: نعم ، فقالوا: إنها كانت أدمت حين أقبلنا فما شأنها؟ قالت: فقلت: والله حملت عليها غلاماً مباركاً ، قالت: فخرجنا ، فما زال يزيدنا الله في كل يوم خيراً ، حتى قدمنا والبلاد سنة ، ولقد كان رعاتنا يسرحون ثم يروحون ، فتروح أغنام بني سعد جياعاً ، وتروح غنمي بطاناً ، حُفَّلاً فنحلب ، ونشرب ، فيقولون: ما شأن غنم الحارث بن عبد العزى ، وغنم حليمة تروح شباعاً حُفَّلاً ، وتروح غنمكم جياعاً ، ويلكم اسرحوا حيث تسرح غنم رعائهم ، فيسرحون معهم ، فما تروح إلا جياعاً كما كانت، وترجع غنمي كما كانت ، قالت: وكان يشب شباباً ما يشبُّه أحد من الغلمان ، يشب في اليوم شباب السنة ، فلما استكمل سنتين أقدمناه مكة ، أنا وأبوه ، فقلنا: والله لا نفارقه أبداً ونحن نستطيع ، فلما أتينا أمه ، قلنا: والله ما رأينا صبياً قط أعظم بركة منه ، وإنا نتخوف عليه وباء مكة وأسقامها، فدعيه نرجع به حتى تبرئي من دائك ، فلم نزل بها حتى أذنت ، فرجعنا به ، فأقمنا أشهراً ثلاثة أو أربعة فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه في بهم لنا إذ أتى أخوه يشتد ، فقال لي ولأبيه إن أخي القرشي ، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأخذاه واضجعاه ، فشقا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه يشتد ، فوجدناه قائماً ، قد انتقع لونه فلما رآنا أجهش إلينا ، وبكى ، قالت: فالتزمته أنا وأبوه ، فضممناه إلينا: ما لك بأبي وأمي؟ فقال: «أتاني رجلان وأضجعاني ، فشقا بطني ، ووضعا به شيئاً ، ثم رداه كما هو» فقال أبوه: والله ما أرى ابني إلا وقد أصيب ، الحقي بأهله ، فرديه إليهم قبل أن يظهر له ما نتخوف منه ، قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه ، فلما رأتنا أنكرت شأننا ، وقالت: ما رجعكما به قبل أن أسألكماه ، وقد كنتما حريصين على حبسه؟ فقلنا: لا شيء إلا أن قضى الله الرضاعة وسرنا ما نرى ، وقلنا: نؤويه كما تحبون أحب إلينا ، قال: فقالت: إن لكما شأنا فأخبراني ما هو، فلم تدعنا حتى أخبرناها ، فقالت: كلا والله ، لا يصنع الله ذلك به ، إن لابني شأناً ، أفلا أخبركما خبره ، إني حملت به ، فوالله ما حملت حملا قط ، كان أخف علي منه ، ولا أيسر منه ، ثم أريت حين حملته خرج مني نور أضاء منه أعناق الإبل ببصرى - أو قالت: قصور بصرى- ، ثم وضعته حين وضعته فوالله ما وقع كما يقع الصبيان ، لقد وقع معتمداً بيديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فقبضته ، وانطلقنا) .

**حادثة شق الصدر:**

تعد حادثة شق الصدر التي حصلت له عليه الصلاة والسلام أثناء وجوده في مضارب بني سعد من إرهاصات النبوة ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل .

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه حادثة شق الصدر في صغره ، فعن أنس بن مالك: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني ظئره - فقالوا: إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون ، قال إنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره ، ولا شك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة ، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله ، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص ، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثماً ، ولم يسجد لصنم على الرغم من انتشار ذلك في قريش .

**وفاة أمه وكفالة جده ثم عمه :**

توفيت أم النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة ، وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة , ودفنت بالأبواء , وبعد وفاة أمه كفله جده عبد المطلب ، فعاش في كفالته ، وكان يؤثره على أبنائه أي أعمام النبي صلى الله عليه وسلم - فقد كان جده مهيباً , لا يجلس على فراشه أحد من أبنائه مهابة له ، وكان أعمامه يتهيبون الجلوس على فراش أبيهم ، وكان صلى الله عليه وسلم يجلس على الفراش ويحاول أعمامه أن يبعدوه عن فراش أبيهم , فيقف الأب الجد بجانبه , ويرضى أن يبقى جالساً على فراشه متوسماً فيه الخير، وأنه سيكون له شأن عظيم وكان جده يحبه حباً عظيماً ، وكان إذا أرسله في حاجة جاء بها وذات يوم أرسله في طلب إبل فاحتبس عليه فطاف بالبيت وهو يرتجل يقول: رب رد راكبي محمداً ... رده لي واصنع عندي يداً .

فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم وجاء بالإبل فقال له: يا بني, لقد حزنت عليك كالمرأة حزناً لا يفارقني أبداً ، ثم توفي عبد المطلب والنبي صلى الله عليه وسلم في الثامنة من عمره ، فأوصى جده به عمه أبا طالب فكفله عمه وحنّ عليه ورعاه .

أرادت حكمة الله أن ينشأ رسوله يتيماً ، تتولاه عناية الله وحدها ، بعيداً عن الذراع التي تمعن في تدليله , والمال الذي يزيد في تنعيمه ، حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه ، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة ، فيلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا ، وحتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني وكانت المصائب التي أصابت النبي صلى الله عليه وسلم منذ طفولته كموت أمه ثم جده بعد أن حرم عطف الأب وذاق كأس الحزن مرة بعد مرة ، كانت تلك المحن قد جعلته رقيق القلب مرهف الشعور، فالأحزان تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكبر والغرور، وتجعلها أكثر رقة وتواضعاً .

**عمله صلى الله عليه وسلم في الرعي :**

كان أبو طالب مُقلاًّ في الرزق فعمل النبي صلى الله عليه وسلم برعي الغنم مساعدة منه لعمه ، فلقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه الكريمة وعن إخوانه من الأنبياء أنهم رعوا الغنم ، أما هو فقد رعاها لأهل مكة وهو غلام وأخذ حقه عن رعيه ، ففي الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بعث الله نبيّاً إلا رعى الغنم» فقال: أصحابه: وأنت؟ قال: «نعم , كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» ، إن رعي الغنم كان يتيح للنبي صلى الله عليه وسلم الهدوء الذي تتطلبه نفسه الكريمة ، ويتيح له المتعة بجمال الصحراء ، ويتيح له التطلع إلى مظاهر جلال الله في عظمة الخلق ، ويتيح له مناجاة الوجود في هدأة الليل وظلال القمر ونسمات الأشجار، يتيح له لوناً من التربية النفسية من الصبر والحلم والأناة , والرأفة والرحمة , والعناية بالضعيف حتى يقوى , وزم قوى القوي حتى يستمسك للضعيف ويسير بسيره ، وارتياد مشارع الخصب والري وتجنب الهلكة ومواقع الخوف من كل ما لا تتيحه حياة أخرى بعيدة عن جو الصحراء وهدوئها وسياسة هذا الحيوان الأليف الضعيف .

إن إقبال النبي صلى الله عليه وسلم على رعي الأغنام لقصد كسب القوت والرزق يشير إلى دلائل مهمة في شخصيته المباركة منها: الذوق الرفيع والإحساس الدقيق اللذان جمّل الله تعالى بهما نبيه صلى الله عليه وسلم ، لقد كان عمه يحوطه بالعناية التامة ، وكان له في الحنو والشفقة كالأب الشفوق ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ما إن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب ويتعب نفسه لمساعدة عمه في مؤونة الإنفاق ، وهذا يدل على شهامة في الطبع وبر في المعاملة ، وبذل للوسع .

والدلالة الثانية: تتعلق ببيان نوع الحياة التي يرتضيها الله تعالى لعباده الصالحين في دار الدنيا ، لقد كان سهلاً على الله أن يهيئ للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو في صدر حياته من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام سعياً وراء الرزق .

**حفظ الله تعالى لنبيه قبل البعثة :**

إن الله تعالى صان نبيه صلى الله عليه وسلم عن شرك الجاهلية وعبادة الأصنام , روى الإمام أحمد في مسنده عن هشام بن عروة عن أبيه قال: حدثني جار لخديجة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخديجة: «أي خديجة ، والله لا أعبد اللات والعزى أبداً» وكان لا يأكل ما ذبح على النصب ، ووافقه في ذلك زيد بن عمرو بن نفيل ، «وقد حفظه الله تعالى في شبابه من نزعات الشباب ودواعيه البرئية التي تنزع إليها الشبوبية بطبعها ، ولكنها لا تلائم وقار الهداة وجلال المرشدين» ، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به ، إلا مرتين من الدهر، كلتيهما يعصمني الله منهما ، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في أغنام أهله يرعاها: أبصر إليَّ غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة ، كما يسمر الفتيان ، قال: نعم ، فخرجت ، فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء ، وضرب دفوف ، ومزامير، فقلت: ما هذا؟» فقالوا: فلان تزوج فلانة ، رجل من قريش تزوج امرأة من قريش ، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا حر الشمس فرجعت فقال: ما فعلت؟ فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ففعل ، فخرجت ، فسمعت مثل ذلك ، فقيل لي مثل ما قيل لي ، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا مس الشمس ، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت؟ قلت: ما فعلت شيئاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته» .

**لقاء الراهب بحيرا بالرسول صلى الله عليه وسلم :**

خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يسيرون ، فلا يخرج إليهم ولا يلتفت ، قال: فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة .

ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به ، وكان هو في رعية الإبل قال: أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله, فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه ، قال: فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة فيقتلونه ، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جاءنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس ، وإنا قد أخبرنا خبره ، بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: إنما اخترنا خيره لك لطريقك هذا ، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه ، قال: أنشدكم الله أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب .

**حرب الفجار:**

اندلعت هذه الحرب بين قريش ومن معهم من كنانة وبين هوازن , وسببها أن عروة الرحّال بن عتبة بن هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر إلى سوق عكاظ ، فقال البرّاض بن قيس بن كنانة: أتجيرها على كنانة؟ قال: نعم ، وعلى الخلق , فخرج بها عروة ، وخرج البراض يطلب غفلته حتى قتله ، وعلمت بذلك كنانة فارتحلوا وهوازن لا تشعر بهم ، ثم بلغهم الخبر، فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً ، وعاونت قريش كنانة وشهد محمد صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم ، أخرجه أعمامه معهم .

وسميت يوم الفجار بسبب ما استحل فيه من حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب ، وقد قال صلى الله عليه وسلم عن تلك الحرب: «كنت أنبل على أعمامي» أي أرد عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها ، وكان صلى الله عليه وسلم حينئذ ابن أربع عشرة أو خمس عشرة سنة ، وقيل ابن عشرين ، ويرجح الأول أنه كان يجمع النبال ويناولها لأعمامه ، مما يدل على حداثة سنة .

وبذلك اكتسب الجرأة والشجاعة والإقدام ، وتمرن على القتال منذ ريعان شبابه ، وهكذا انتهت هذه الحرب التي كانت كثيراً ما تشبه حروب العرب ، حتى ألف الله بين قلوبهم ، وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الإسلام بينهم .

**حلف الفضول :**

كان حلف الفضول بعد رجوع قريش من حرب الفجار، وسببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل ، ومنعه حقه فاستعدى عليه الزبيدي أشراف قريش ، فلم يعينوه لمكانة العاص فيهم ، فوقف عند الكعبة واستغاث بآل فهر وأهل المروءة ونادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحِجر والحَجَر

إن الحــــرام لـــم تمت كرامتــــــه ولا حرم لثوب الفاجر الغُدر

فقام الزبير بن عبد المطلب فقال: ما لهذا مترك ، فاجتمعت بنو هاشم ، وزهرة ، وبنو تَيْم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا في شهر حرام ، وهو ذو القعدة ، فتعاقدوا وتحالفوا بالله ليكونُنّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يُرد إليه حقه ما بل بحر صوفة ، وما بقي جَبَلا ثبير وحراء مكانهما ، ثم مشوا إلى العاص بن وائل ، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي ، فدفعوها إليه ، وسمت قريش هذا الحلف حلف الفضول ، وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، وفي هذا الحلف قال الزبير بن عبد المطلب:

إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا ألا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه تعاقدوا وتواثقوا فالجار والمُعترّ فيهم سالم

وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحلف الذي هدموا به صرح الظلم ، ورفعوا به منار الحق ، وهو يعتبر من مفاخر العرب وعرفانهم لحقوق الإنسان ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام ، فما أحب أن لي حمر النعم ، وأني أنكثه» ، وقال صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» .

**تجارته لخديجة وزواجه منها وأهم الأحداث إلى البعثة :**

**تجارته لخديجة وزواجه منها :**

كانت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أرملة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال ليتجروا بمالها ، فلما بلغها عن محمد صدق حديثه , وعظم أمانته , وكرم أخلاقه , عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما تعطي غيره من التجار، فقبل وسافر معه غلامها ميسرة ، وقدما الشام ، وباع محمد صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد من السلع ، فلما رجع إلى مكة وباعت خديجة ما أحضره لها تضاعف مالها .

وقد حصل محمد صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة على فوائد عظيمة بالإضافة إلى الأجر الذي ناله ، إذ مر بالمدينة التي هاجر إليها من بعد , وجعلها مركزًا لدعوته ، وبالبلاد التي فتحها ونشر فيها دينه ، كما كانت رحلته سبباً لزواجه من خديجة بعد أن حدثها ميسرة عن سماحته وصدقه وكريم أخلاقه ، ورأت خديجة في مالها من البركة ما لم تر قبل هذا وأُخبرت بشمائله الكريمة ، ووجدت ضالتها المنشودة , فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه ، وهذه ذهبت إليه تفاتحه أن يتزوج خديجة فرضي بذلك ، وعرض ذلك على أعمامه ، فوافقوا كذلك ، وخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب فخطبها إليه ، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصدقها عشرين بَكرة ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضي الله عنها ، وقد ولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلامين وأربع بنات ، وابناه هما: القاسم ، وبه كان صلى الله عليه وسلم يكنى وعبد الله ، ويلقب بالطاهر والطيب ، وقد مات القاسم بعد أن بلغ سنّاً تمكنه من ركوب الدابة ، ومات عبد الله وهو طفل ، وذلك قبل البعثة .

أما بناته فهن: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، وقد أسلمن وهاجرن إلى المدينة وتزوجن ، هذا وقد كان عمر الرسول صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة رضي الله عنها خمساً وعشرين سنة ، وكان عمرها أربعين سنة .

**اشتراكه في بناء الكعبة الشريفة :**

لما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لتجديد بناء الكعبة لما أصابها من حريق وسيل جارف صدّع جدرانها ، وكانت لا تزال كما بناها إبراهيم عليه السلام رضما فوق القامة فأرادوا هدمها ليرفعوها ويسقفوها , ولكنهم هابوا هدمها ، وخافوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم نزغ ، ولا نريد إلا الخير، وهدم من ناحية الركنين: فتربص الناس تلك الليلة , وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ، ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا ، فأصبح الوليد غادياً يهدم ، وهدم الناس معه حتى انتهوا إلى حجارة خُضرة كالأسنمة آخذ بعضها ببعض .

وكانوا قد جزؤوا العمل , وخصوا كل قبيلة بناحية ، واشترك سادة قريش وشيوخها في نقل الحجارة ورفعها ، وقد شارك النبي صلى الله عليه وسلم وعمه العباس في بناء الكعبة وكانا ينقلان الحجارة ، فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم: اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة ، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال: «إزاري إزاري» فشد عليه إزاره ، فلما بلغوا موضع الحجر الأسود اختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، وكادوا يقتتلون فيما بينهم ، لولا أن أبا أمية بن المغيرة قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد ، فلما توافقوا على ذلك دخل محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين ، قد رضينا , فلما أخبروه الخبر قال: «هلموا ثوباً؟» فأتوه به فوضع الحجر فيه بيديه ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوا جميعاً» فرفعوه ، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه .

وأصبح ارتفاع الكعبة ثمانية عشر ذراعاً , ورفع بابها عن الأرض بحيث يصعد إليه بدرج ، لئلا يدخل إليها كل أحد ، فيدخلوا من شاؤوا ، وليمنعوا الماء من التسرب إلى جوفها ، وأسند سقفها إلى ستة أعمدة من الخشب ، إلا أن قريشاً قصرت بها النفقة الطيبة عن إتمام البناء على قواعد إسماعيل ، فأخرجوا منها الحِجر، وبنوا عليه جدارًا قصيراً دلالة على أنه منها ؛ لأنهم شرطوا على أنفسهم أن لا يدخل في بنائها إلا نفقة طيبة ، ولا يدخلها مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة لأحد .

**تهيئة الناس لاستقبال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم :**

شاءت حكمة الله تعالى أن يعد الناس لاستقبال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بأمور منها:

**1- بشارات الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم :**

دعا إبراهيم عليه السلام ربه أن يبعث في العرب رسولاً منهم ، فأرسل محمداً إجابة لدعوته ، قال تعالى: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ} [البقرة: 129] ، وذكر القرآن الكريم أن الله تعالى أنزل البشارة بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين فقال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ} [الأعراف: 157] .

وبشر به عيسى عليه السلام ، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: 6] ، وأعلم الله تعالى جميع الأنبياء ببعثته ، وأمرهم بتبليغ أتباعهم بوجوب الإيمان به , واتباعه إن هم أدركوه كما قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: 81] .

وقد وقع التحريف في نسخ التوراة والإنجيل , وحذف منهما التصريح باسم محمد صلى الله عليه وسلم إلا توراة السامرة , وإنجيل برنابا الذي كان موجوداً قبل الإسلام , وحرمت الكنيسة تداوله في آخر القرن الخامس الميلادي ، وقد أيدته المخطوطات التي عثر عليها في منطقة البحر الميت حديثاً ، فقد جاء في إنجيل برنابا العبارات المصرحة باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما جاء في الإصحاح الحادي والأربعين منه ونص العبارة: ([29] فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس [30] فلما التفت آدم رأى مكتوباً فوق الباب: لا إله إلا الله محمد رسول الله) .

**2- بشارات علماء أهل الكتاب بنبوته :**

أخبر سلمان الفارسي - رضي الله عنه - في قصة إسلامه المشهورة عن راهب عمورية حين حضرته المنية قال لسلمان: «إنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجره إلى أرض بين حَرَّتين بينهما نخل ، به علامات لا تخفى , يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل» .

«ثم قصَّ سلمان خبر قدومه إلى المدينة واسترقاقه ولقائه برسول الله صلى الله عليه وسلم حين الهجرة ، وإهدائه له طعاماً على أنه صدقة , فلم يأكل منه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم إهدائه له طعاماً على أنه هدية وأكله منه ، ثم رؤيته خاتم النبوة بين كتفيه ، وإسلامه على أثر ذلك» .

ومن ذلك إخبار أحبار اليهود ورجالاتها بقرب مبعثه عليه الصلاة والسلام ، ومن ذلك قصة أبي التيهان الذي خرج من بلاد الشام ونزل في بني قريظة ثم توفي قبل البعثة النبوية بسنتين ، فإنه لما حضرته الوفاة قال لبني قريظة: يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير -الشام- إلى أرض البؤس والجوع -يعني: الحجاز-؟ قالوا: أنت أعلم ، قال: إني قدمت هذه البلدة أتوكف -أنتظر- خروج نبي قد أظل زمانه ، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه .